قصص الرحـــالة

— ١١ —

« پيرى يكشف القطب الشمالي »

پيرى

« أسعدتم صباحاً يا أبنائي ! أنا پيرى ، وقد ولدت بأمريكا ؛ وقضيت معظم حياتي في البحار القطبية . ولقد حاولت عدة مرات ، الوصول إلى القطب الشمالي ، ولكن كان دون ذلك ، مشاق وأهوال ! فقدت في أثنائها إحدى ساقي ؛ وجمدت أصابع قدمي ! ! على أن ذلك ، لم يثنني عن الغرض الذي كرست له حياتي ؛ فصممت على القيام بآخر رحلة ؛ إلى تلك الأنحاء النائية ! وفي يوليه سنة ١٩٠٨ غادرت نيويورك واجتزت الدائرة القطبية الشمالية للمرة العشرين وفي أول أغسطس ، وصلت إلى « رأس يورك » ؛ وهو أقصى مكان يعيش فيه الإنسان ، في شمال الكرة الأرضية . وقد اصطحبت معي ، من هذا المكان ، عدداً كبيراً من « الإسكيمو » و ٢٥٠ كلبا . وقد قضينا الشتاء في « أرض جرانت » « Grant Land » في الجانب الغربي من جزيرة « الأرض الخضراء » وفي فبراير سنة ١٩٠٩ ، غادرنا المكان على الزاحفات الثلجية ، إلى رأس « كولمبيا » على بعد تسعين ميلا ، من حيث كنا . ولقد عانينا الأمرين ، في نقل أمتعتنا ؛ ويمكنك أن تدرك ذلك ، إذا علمت أننا كنا نحمل معنا ١٢٠٠٠ رطل من الدقيق ، ١٠٠٠ رطل من البن ، ١٠٠٠٠ رطل من السكر ، ١٠٠٠٠ رطل من (البسكوت) ، ١٠٠٠ رطل من الطباق ، ٣٥٠ جالون من الزيت . (والجالون ٤ ونصف لتر) ومائة علبة من اللبن المحفوظ .

ولم تطل إقامتنا في رأس كولمبيا . فهناك قسمت أعضاء الرحلة ، إلى فرق ، مع كل منها زاحفاتها وذخيرتها من الرجال ، والكلاب ، والطعام ، والملابس ، وأحذية الثلج ؛ والفئوس ، والمناشير ،

وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الْأَدَوَاتِ الضرُورِيَّةِ . لِنَشْرِ الْجُلُودِ ، وَبِنَاءِ الْأَكْوَاخِ مِنْهُ . وَقَدْ احْتَفَظْتُ لِنَفْسِي بِخَمْسِينَ رَجُلاً مِنَ « الإِسْكِيمُو » ، وَمِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ كَلْباً ، وَثَمَانٍ وَعِشْرِينَ زَاحِفَةً ؛ بِكُلٍّ مِنْهَا مُعَدَّاتُهَا .

وَكَانَتْ خُطَتِي ، أَلاَّ نَقُومَ جَمِيعاً ، دَفْعَةً وَاحِدَةً بَلْ تَتَقَدَّمُنِي فِرَقٌ لِكَشْفِ الطَّرِيقِ ؛ وَأَنَا أَكُونُ ، أَنَا وَمَنْ مَعِي ، آخِرَ مَنْ يُغَادِرُ الْمَكَانَ .

يدى فى طريقه الى القطب

وَفِي أَوَاخِرِ فِبْرَايِرَ سَنَةِ ١٩٠٩ بَدَأَتِ الْفِرْقَةُ الْأُولَى ثُمَّ تَلَتْهَا الْفِرَقُ الْأُخْرَى ؛ فِي جَوٍّ شَدِيدِ الْبَرْدِ ، وَعَاصِفَةٍ مِنَ الثَّلْجِ ؛ وَبَلَغَ مِنْ كَثْرَةِ الثُّلُوجِ الْمُتَسَاقِطَةِ أَنْ تَعَطَّلَ كَثِيرٌ مِنَ الزَّاحِفَاتِ تَعْطِيلاً تَامّاً ؛ وَاضْطُرَّتْ بَعْضُ الْفِرَقِ ، إِلَى الْعَوْدَةِ إِلَى كُولْمِبْيَا ؛ لِإِصْلَاحِهَا ، أَوْ إِحْضَارِ غَيْرِهَا .

وَوَاصَلْنَا السَّيْرَ ، فِي مَشَقَّةٍ تَفُوقُ الْوَصْفَ ؛ فَلَمْ تَقْتَصِرْ مَتَاعِبُنَا ، عَلَى الْجَوِّ وَرَدَاءَتِهِ ؛ وَالْبَرْدِ وَشِدَّتِهِ ؛ بَلْ كَثِيراً مَا كَانَتْ تَعْتَرِضُ سَبِيلَنَا ، مَجَارٍ صَغِيرَةٌ مِنَ الْمَاءِ ؛ فَتَعُوقُ سَيْرَنَا أَيَّاماً . وَحَدَثَ ، فِي أَثْنَاءِ سَيْرِنَا ، أَنِ اعْتَرَضَتْنَا بِرْكَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْمَاءِ ، فَاعْتَصَبَ « الإِسْكِيمُو » وَرَفَضُوا مُوَاصَلَةَ السَّيْرِ ، وَطَلَبُوا مِنِّي الْعَوْدَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ ، لِشِدَّةِ مَا يُعَانُونَهُ مِنْ مَرَضٍ وَمَشَقَّةٍ . وَقَدْ نَجَحْتُ فِي إِقْنَاعِهِمْ بِالْبَقَاءِ مَعِي إِلَى النِّهَايَةِ ، وَأَقَمْتُ لَهُمْ حَفْلَ رَقْصٍ وَغِنَاءٍ . لَا سَرَّى عَنْهُمْ قَلِيلاً .

وَوَاصَلْنَا السَّيْرَ صَوْبَ الشَّمَالِ عِدَّةَ أَيَّامٍ ؛ تَعَرَّضْنَا فِي أَثْنَائِهَا لِخَطَرِ السُّقُوطِ فِي بِرَكِ الْمَاءِ ، الَّتِي تَتَخَلَّلُ كُتَلَ الْجَلِيدِ ؛ وَبَعْدَ شَهْرٍ ، رَأَيْتُ ، عَلَى بُعْدٍ مِنِّي ، إِحْدَى الْفِرَقِ ، وَكَانَتْ بِقِيَادَةِ « بارتلت » ، وَهُوَ بَحَّارٌ مَاهِرٌ مِنْ « نيوفوندلاند » . وَلَمْ أَشَأْ أَنْ أَقْطَعَ عَلَيْهِمْ سَيْرَهُمْ ؛ فَسَكَنْتُ ، حَيْثُ كُنْتُ ؛ وَأَقَمْنَا أَكْوَاخاً مِنَ الْجَلِيدِ ،

وَبَعْدَ أَنْ تَنَاوَلْنَا عَشَاءَنَا ، نِمْنَا . وَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ ، إِذَا صِيَاحٌ هَائِلٌ ، يَخْتَرِقُ جَوْفَ اللَّيْلِ وَسْطَ السُّكُونِ الشَّامِلِ ؛ فَاسْتَيْقَظْتُ مُنْزَعِجاً ؛ وَانْدَفَعْتُ خَارِجَ الْكُوخِ لِأَتَبَيَّنَ الْخَبَرَ ؛ فَوَجَدْتُ الْجَلِيدَ ، الَّذِي كَانَتْ تَسِيرُ عَلَيْهِ فِرْقَةُ « بارتلت » ، قَدِ انْشَقَّ ، فَأَصْبَحَ بِذَلِكَ « بارتلت » وَفِرْقَتِهِ عَلَى جَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ الْجَلِيدِ ، طَافِيَةٍ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ ، فِي بِرْكَةٍ عَمِيقَةٍ ! ! وَقَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْنَا الذُّعْرُ ؛ وَكِدْتُ أَقَعُ فِي حَيْرَةٍ مِنَ الْأَمْرِ ؛ لَوْلَا أَنَّ اللهَ لَطَفَ بِهِمْ فَاتَّخَذَتْ « الْجَزِيرَةُ » طَرِيقَهَا رُوَيْداً رُوَيْداً إِلَى شَاطِئِ الْبِرْكَةِ ؛ عَلَى الْجَلِيدِ الثَّابِتِ ، فَنَجَا بِذَلِكَ ، « بارتلت » وَمَنْ مَعَهُ .

وَقَرَّرَ « بارتلت » عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ ، أَنْ يَعُودَ هُوَ وَرِجَالُهُ ؛ أَمَّا أَنَا فَقَدْ وَاصَلْتُ السَّيْرَ ؛ وَلَمْ يَكُنْ مَعِي ، سِوَى خَادِمِي الزِّنْجِيِّ ، وَأَرْبَعَةٍ مِنَ « الإِسْكِيمُو » ، وَأَرْبَعِينَ كَلْباً ؛ وَمَئُونَةٍ تَكْفِي أَرْبَعِينَ يَوْماً . وَلَمْ يَبْقَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقُطْبِ إِلَّا ١٣٠ مِيلاً ! ! فَتَشَجَّعْنَا وَكَانَ الْبَرْدُ عَلَى أَشُدِّهِ ! حَتَّى لَقَدْ تَشَقَّقَتْ وُجُوهُنَا ، وَكَادَتِ الدِّمَاءُ تَجْمُدُ فِي عُرُوقِنَا ! وَأَخِيراً وَصَلْنَا إِلَى الْقُطْبِ ! ! بَعْدَ أَنْ قَضَيْتُ عِشْرِينَ عَاماً أُحَاوِلُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ ! ! وَهَأَنَذَا أَقِفُ عَلَى الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ بَعْدَ أَنْ ظَلَّ الْعَالَمُ آلَافَ السِّنِينَ ، يَجْهَلُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْهُ ! ! وَكَانَتْ سَاعَةُ وُصُولِنَا ، سَاعَةً مَشْهُودَةً ؛ كِدْنَا نَطِيرُ فِي أَثْنَائِهَا مِنْ فَرْطِ السُّرُورِ ؛ وَقَدْ صَلَّيْنَا شُكْراً لِلَّهِ وَحَمْداً عَلَى تَوْفِيقِهِ ؛ ثُمَّ تَنَاوَلْنَا جَمِيعاً ؛ غِذَاءً مُضَاعَفاً ! ! وَأَعْطَيْتُ الْكِلَابَ غِذَاءً مُضَاعَفاً أَيْضاً ! ! جَزَاءً لَهَا عَلَى صَبْرِهَا ، وَجَلِيلِ مَعُونَتِهَا ! !

وَكَانَ كُلُّ مَا حَوْلَنَا جَلِيداً ! ! لَا أَثَرَ لِلْأَرْضِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ! ! وَلَمْ تَكُنْ هُنَاكَ بِحَارٌ كَمَا كَانَ يَظُنُّ النَّاسُ ! !

وَبَعْدَ بِضْعِ سَاعَاتٍ ، قَضَيْنَاهَا فِي الْغِنَاءِ وَالرَّقْصِ ، وَالْهُتَافِ ! أَثْبَتْنَا أَسْمَاءَنَا وَتَارِيخَ وُصُولِنَا ، فِي وَرَقَةٍ ، وَضَمَّنَّاهَا دَاخِلَ زُجَاجَةٍ ؛ ثُمَّ دَفَنَّا الزُّجَاجَةَ فِي الْجَلِيدِ . وَأَخَذْنَا عُدَّتَنَا لِلرَّحِيلِ ؛ فَأَصْلَحْنَا زَاحِفَاتِنَا ، وَخَفَّفْنَا مِنْ حِمْلِنَا قَدْرَ الْإِمْكَانِ ؛ وَاتَّخَذْنَا طَرِيقَنَا إِلَى رَاسِ « كُولُمْبِيَا » . فَوَصَلْنَا إِلَيْهِ بَعْدَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْماً وَلَمْ نُعَانِ مَشَقَّةً كَبِيرَةً فِي أَثْنَاءِ عَوْدَتِنَا ؛ لِأَنَّنَا

(البقية بصفحة ٢٥)